

# تأملات في سورة طه (3) | فضيلة الشيخ أ.د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي.

أحمد القاضي

يزداد بالاحسان. الله جمله. كما يا رمضان عقد من الايمان يزداد بالاحسان. الله جمله بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى الله وصحبه اجمعين. اما بعد - 00:00:00

فهذا هو المجلس الثالث من سلسلة مجالس تأملات سورة طه. ولا زلنا معشر الاخوة والاخوات ومن بلغ في الحضرة العلوية حيث نودي موسى عليه السلام وقرب نجيا. وقد رأينا كيف ان موسى عليه السلام قدم سؤله لربه عز وجل ؟ فاتاه - 00:00:40 الله ما سأل. ثم ان الله سبحانه وتعالى ذكره بمنته المتكاثرة المتتابعة عليه وطوفقه بها. وبعد ذلك قال له ربه مجددا امره ايه. اذهب انت واخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري. اذهب الى فرعون انه طغي. فقولا له - 00:01:10

قول اللين لعله يتذكر او يخشى. اذا قد اعاد الله تعالى صيغة التكليف بعد هذا طلب من موسى في ان يشرك اخاه معه في النبوة والرسالة. فقال اذهب انت واخوك - 00:01:40

بآياتي ولا تنيا في ذكري. واعلموا ايها الاخوة والاخوات ان الله سبحانه وتعالى يؤيد انبيائه بآيات البينات الباهرات التي يسميها بعض العلماء المعجزات فلهذا قال اذهب انت واخوك بآياتي. وتلكم الآيات قد بدا لنا مما تقدم من ذكر الآيات - 00:02:00 اثننتان منها وهم العصا واليد. لكن الله تعالى قد بين في موضع اخر انها تسع آيات سيأتي ذكرها فيما بعد. وتأملوا كيف ان الله ذكره بما وعد. فان موسى قد - 00:02:30

قال في مناجاته لربه وتضرعه اليه قال كي يسبحك كثيرا ونذرك كثيرا. فلهذا قال الله عز وجل ولا تنيا في ذكري. ومعنى لا تنيا اي لا تبطئ ولا تفتر عن ذكري. ولا تنيا - 00:02:50

في ذكري وفي هذا دالة قوية على ان ذكر الله عز وجل من اعظم مثبتات القلوب ومن اعظم ما يتزود به الداعية للقيام ب مهمته. فان ذكر الله عز وجل فوائد عظيمة - 00:03:10

كبيرة على القلب والنفس والسلوك يدركها من جريها. حتى ان ابن القيم رحمه الله ذكر في الوابل الصيب اكثر من مائة فائدة لذكر الله عز وجل. لذا قال ربنا ولا تنيا في ذكر اذهبها الى فرعون انه طغي - 00:03:30

اي طغي بكفره وعناده وطغي بظلمه وعدوانه. كما تقدم معنا فقولا له قولنا لينا. وهذا فيه عبرة عظيمة كما قال ابن كثير رحمه الله وهو انه ينبغي للداعية الى الله عز وجل ان يستعمل اسلوب اللين. واسلوب الرفق مع جميع المخاطبين. كما - 00:03:50

قال الله تعالى عن انبييه صلى الله عليه وسلم فيما رحمة من الله لنت لهم. ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر. فاذا عزمت فتوكل على الله. ينبغي - 00:04:20

لمن اراد ان يدعو غيره ان يستعمل اسلوب الرفق واللين. فان الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف. والله الله تعالى رفيق في الامر كله يحب الرفق في الامر كله. فهو سبحانه وبحمده ينذر انبيائه - 00:04:40

ومرسليه الى الرفق حتى وان كان الطرف الآخر من اعتى العتات. واطفي الطواوة. ويقال ان رجلا او ان واعضا دخل على هارون

الرشيد رحمه الله وهو من خيار ملوك المسلمين. فاغلظ له في الموعظة. فقال له هارون - 00:05:00

وكان افقه منه. قال يا هذا ان الله قد بعث من هو خير منك الى من هو شر مني. فقال فقولا له قول الليل لعله يتذكر او يخشى.

فحينما يتكلم الانسان بالاسلوب اللين فان آآ القلوب السوية - 00:05:20

استجيبوا له تقبلوا اه موعظته. وقد تنوعت عبارات المفسرين في ماذا كان ذلك القول الذي استعمله موسى مع فرعون. ولعل احسن الاقوال هو ما يفسر به القرآن بالقرآن وهو ما جاء في سورة النازعات هل لك الى ان تزكي واهديك الى ربك فتخشى؟ فان هذا الاسلوب فيه - 00:05:40

من حسن العرض وحسن التأني وعدم الالزام واسناد التزكي الى المخاطب ما لا يخفى. وليس فيه لغة متعلالية ولا اسلوب فظ. اذا فقولا له قولنا لينا. لماذا؟ لامرين لعله يتذكر اي فيحمله تذكرة على فعل الخير. او يخشى فتحمله الخشية على الكف عن الشر - 00:06:10

هذه ثمرة الدعوة ان يحصل بها فعل الخير وترك الشر. فما كان منها الصلاة والسلام الا ان افصح عن مكونات قلبيهما وما يخشيان. قال ربنا اننا نخاف ان علينا او ان يطغى افصح عما يجد في نفسيهما وليس هذا من باب الاعتراض او الامتناع ولكنه من - 00:06:40 باب التبرع والدعاء لله عز وجل. فابدي لربهما خشيتهما. فقال اننا نخاف ان يفرط علينا معنى ان يفرط اي ان يجعل علينا بعقوبة سريعة كما يفعل الطغاة الذين لا يترىشون - 00:07:10

ولا يتأنون فيما يأتون وما يذرون. وهذا متوقع من فرعون. الذي كان يقتل ابناءبني اسرائيل ويستحيي نسائهم بالسخرة او ان يبقى اي ان يزداد في طغيانه وعتوه وتأخذه العزة بالاتم. فاجابهما الله تعالى بما - 00:07:30 قال لا تخافوا ان يفرط عليكم. اما الطغيان فامر اخر. قال لا تخافوا ان اسمع واري وفي هذه الاية اثبات المعيية الخاصة لله تعالى. ذلك ان ربنا سبحانه وتعالى - 00:07:50

له معيية عامة لعلوم الخلق. فالله تعالى لا تخفي عليه خافية. يعلم السر ونجوى فهو معهم ومع فرعون بمعيته العامة التي هي سمعه وبصره وعلمه وقدرته وسائر صفات ربوبيته. لكن هذه المعيية - 00:08:10 خاصة لولياء المؤمنين. ومقتضاه النصر والتأييد والحفظ والصون والرعاية. فطمأنه فاطمئن فقد نال ضمانة من رب العالمين. لا تخافوا انكم اسمع واري. قال الله تعالى تأتيه فقولا ان رسول ربك فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك باية من ربك - 00:08:30

والسلام على من اتبع الهدى. فكان مطلبهما مطلبا شرعا. اذ كان بنو اسرائيل الذين قدموا ارض مصر من يوسف عليه السلام قد استوطنوا وصاروا جزءا من مكون الشعب كما يقال بلغة العصر. ثم لما طغى فرعون - 00:09:00 سامهم سوء العذاب فاراد موسى عليه السلام ان يستنقذهم من هذا المأزق ويخرج بهم الى الارض المباركة. فاراد من فرعون ان لا يحول بينه وبين ذلك. قال فارسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم. قد جئناك باية من ربك - 00:09:20 فعرض عليه هذه الآيات العصا والحياة فبهرت فرعون اي منبهار. وقال له والسلام على من اتبع الهدى. اما انهم تلفظا بهذا اللفظ السلام وهذا غير بعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا كاتب احدا عبر بهذا التعبير. فحينما كتب الى هرقل قال من محمد رسول الله الى - 00:09:40

هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى. وفيه اغراء باتباع الهدى. وكذا حين كتب الى مسيلمة الكذاب قال من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى. فهذا هدي المرسلين وقد قال الله تعالى - 00:10:10 قال اولئك الذين هدى الله بهداهم مقتد. قال الله عز وجل والسلام على من اتبع الهدى ربما ان يكون معنى ذلك ان السلامة تحصل لمن اتبع الهدى فيكون في ذلك اغراء لفرعون بقبول الهدى - 00:10:30 لتحصل له السلامة في نفسه وملكه. انا قد اوحى اليها ان العذاب على من كذب وتولى وهذا خبر من الله عز وجل وهو معنى يتكرر في القرآن كثيرا وهو ان من كذب وتولى فان العذاب - 00:10:50

يتحقق به. فالتكذيب يكون في الامور العلمية. والتولي يكون عن الامور العملية التي هي والطاعة انا قد اوحى اليها ان العذاب على من كذب وتولى. فوعظهما وعظاه موعظ حسنة واغرياه بالترهيب وبالترغيب عليه ان يقبل. لكن الرجل والعياذ بالله - 00:11:10

اخذته العزة بالائم وابى وعائد وجحد واستكبر ورد دعوتها ثم انه حاد بالموضوع عن فقال لها قال فمن ربكم يا موسى؟ عيادة بالله انكر الربوبية ولم يكن هذا يقع من احد من بنى ادم - 00:11:40

وكأنه لا يعرف الرب. قال فمن ربكم يا موسى؟ ولا يعلم ان احدا من بنى ادم انكر الربوبية صراحة بجاحه كما صنع فرعون. فانه قال انا ربكم الاعلى. وقال مرة ما علمت لكم من الله غيري. وقال - 00:12:00

لان اخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين. لم يبدر من بنى ادم ما بدر من فرعون ولهذا هو كان امام امام معطلة. قال فمن ربكم يا موسى؟ فجاءه الجواب الصريح الفطري الذي تشهد له دلائل العقل والفقه - 00:12:20

فطرة والحس قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى الله اكبر اي ان الله تعالى لا يحتاج الى تعريف كل ما في الكون يدل عليه. ومن ذلك الهداية العامة التي جعلها الله تعالى لجميع المخلوقات. فهو - 00:12:40

خلق الخلق وهدتهم سبلهم. وهذا يتناول جميع المخلوقات من الجن والانس والطير سمكي الحشرات والهوام وسائر الاشياء قد خلقها الله تعالى على خلقة معينة وهداتها سبلها التي يحصل بها بقاء معيشتها واستمرار نسلها. وما من وما في الارض الا امم - 00:13:00

وكل هذه المخلوقات امم لها نظامها ولها طريقة معيشتها فهذه هي الهداية الكبرى او الهداية الكونية العامة التي آهدى الله بها جميع الخلائق لمصالحها. قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى. فحيثئذ نقل الموضوع عن وجهته وطرح سؤالا شاذـا - 00:13:30 اذا قال فما بال القرون الاولى؟ مـاذا ارادـ؟ ارادـ ان يقول لما كان من كان قبلنا لا يوحـدون الله ولا لا يعبدـون الـربـ الذي آـتدعـونـ اليـهـ. وهذه ليست بحـجـةـ حتـىـ يـشـهـرـهاـ فـيـ وجـهـ مـوسـىـ وـهـارـونـ.ـ لـكـنـ - 00:14:00

ان موسى اتـاهـ بالـجـوابـ قالـ عـلـمـهـاـ عـنـدـ رـبـيـ فـيـ كـتـابـ لـاـ يـضـلـ رـبـيـ وـلـاـ يـنسـىـ.ـ ايـ انـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ سـابـقـ قـدـرـهـ يـظـلـ مـنـ يـشـاءـ وـيـهـدـيـ مـنـ يـشـاءـ.ـ فـمـاـ كـانـ مـنـ الـقـرـونـ الـأـوـلـىـ فـهـوـ مـحـفـوظـ فـيـ كـتـابـ اللـهـ الـذـيـ هـوـ الـلـوـحـ الـمـحـفـوظـ - 00:14:20 وكتاب الله تعالى لا يضل ولا ينسى. بخلاف كتاب المخلوقين. فانه يقع فيه غلط وخطأ وهو الضلال ويقع فيه نسيان وقصور. اما علم الرب الذي اودعه في كتابه فهو بريء من هاتين الافترين. لهذا قال - 00:14:40

في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبل وانزل من السماء ماء فاخـرجـناـ بهـ ازـواـجاـ منـ نـباتـ شـتـىـ.ـ كـلـوـ وـارـعـواـ انـعـامـكـمـ انـ فـيـ ذـلـكـ لـاتـ - 00:15:00

لاولي النهى. استرسل موسى عليه السلام في بيان مظاهر ربوبية الله سبحانه وتعالى. وكيف ان الله سبحانه وتعالى جعل هذه الارض التي ندب عليها مهاجا فراشا مستقراما من جعل الارض قرارا وجعل خالله - 00:15:20

انهار وجعل بين البحرين حاجزا. الله مع الله؟ لفت انتباـهـهـ الىـ هـذـهـ الـاـيـاتـ الـكـوـنـيـةـ.ـ وـهـذـاـ دـلـيلـ اـيـهـاـ الـكـرـامـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـ اـنـ يـسـرحـ بـصـرـهـ فيـ مـلـكـوتـ السـمـاـواتـ وـالـاـرـضـ فـانـ الـعـقـيـدـةـ اـنـمـاـ تـبـنـىـ مـنـ خـلـالـ النـظـرـ وـالـتـفـكـرـ - 00:15:40 فيـ مـخـلـوقـاتـ اللـهـ.ـ قـالـ رـبـنـاـ عـزـ وـجـلـ قـلـ انـظـرـوـاـ مـاـذـاـ فـيـ السـمـاـواتـ وـالـاـرـضـ.ـ وـمـاـ تـغـنـيـ الـاـيـاتـ وـالـنـذـرـ عـنـ قـوـمـ لـاـ يـؤـمـنـونـ لـاـ يـجـوزـ لـلـمـؤـمـنـ اـنـ يـكـونـ بـلـيـدـاـ لـاـ يـنـظـرـ فـيـمـاـ حـولـهـ وـلـاـ يـتـفـكـرـ بـمـخـلـوقـاتـ اللـهـ الـعـلـوـيـةـ وـالـسـفـلـيـةـ.ـ انـظـرـوـاـ كـيـفـ - 00:16:00

الله تعالى على المشركين بلا دلتهم. فقال سبحانه في سورة النبأ الم نجعل الارض مهادا؟ والجبال اوتادا وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شهداء - 00:16:20

وجعلنا سراجا وهاجا. وانزلنا من المعصرات ماء دجاجا. لنخرج به جها ونباتا وجثاث الفافا على المؤمن ان يفتح حدة عينيه لينظر ان يفتح سماخ اذنه ليسمع والا يكون لا ينتفع بما يرى. الله تعالى يقول افرأيتم ما تمنون افرأيتم ما تحرثون؟ افرأيتم الماء - 00:16:40 الذي تشربون افرأيتم النار التي تورون هكذا يلفت الله نظرنا الى ما حولنا من من هنا يعرف الله سبحانه وبحمدـهـ فـلـهـذاـ نـجدـ انـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ خـاطـبـ فـرـعـونـ بـدـلـائـلـ الـرـبـوبـيـةـ كـمـاـ سـمـعـتـمـ الذـيـ جـعـلـ لـكـمـ الـاـرـضـ مـهـداـ - 00:17:10

وسلـكـ لـكـمـ فـيـهـ سـبـلاـ.ـ تـأـمـلـواـ فـيـ هـذـهـ الـطـرـقـاتـ وـالـدـرـوـبـ الـتـيـ تـمـخـرـوـاـ عـبـابـ البرـ وـالـبـحـرـ.ـ كـيـفـ تـوـاـصـلـوـ النـاسـ وـيـلـتـقـيـ بـعـضـهـمـ بـعـضـ عنـ طـرـيقـ الـمـوـاـصـلـاتـ ثـمـ انـقـلـ هـذـاـ إـلـىـ هـذـاـ الـعـصـرـ الـحـدـيـثـ الـذـيـ اـنـضـمـ الـجـوـ - 00:17:30

الى البر والبحر وصارت هذه الخطوط تعبر القارات يمنة ويسرة شمالاً وجنوباً. كما قال الله وسهلك فيها سبلاً وانزل من السماء ماء.  
فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى. تأمل في نبات الأرض - 00:17:50

انظر الى اثار ما صنع الملوك عيون من لجين ناظرات باحداق هو الذهب السبيك على قطب الزبرجد بان الله ليس له شريك سبحانه  
وبحمده وفي كل شيء له اية تدل على انه الواحد انت تمر - 00:18:10

مكان القفر اليابان اليابس في فصل الصيف لا تشتهي ان تنظر اليه. ثم تمر عليه في فصل الربيع وهو يهتز خضراً من كل لون جميل.  
من الذي اخرجه؟ من الذي استنبط من هذا التراب الذي تعصف به الرياح هذه الازهار - 00:18:30

وهذه الشمار الا الله تعالى. لهذا لفت الله الانتباه لها المعنى فقال فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك  
لاليات لاولي النهى. اي اصحاب العقول الراجحة الذين ينظرون الى ما وراء المظاهر والاشكال - 00:18:50

ويعتبرون بها تأمل قال منها خلقناكم وفيها نعيدهم ومنها نخرجكم تارة اخرى اي كما ان الله ينزل السماء ينزل الماء من السماء فينبت  
به الارض كذلك تخرجون. فلفت الله فلت موسى عليه السلام نظر فرعون الى حقيقة المعاد. وان الذي احيا الارض بعد موتها قادر  
على البعث - 00:19:10

وان يجازي المحسن بحسنه والمسيء باساعته. منها اي من الارض خلقناكم. لأن الله تعالى خلقنا من قبضة من طين بهذا خلق ادم  
خلقه من طين. وفيها نعيدهم فانا نرد الى الارض وندفن فيها فنتحلل - 00:19:40

حتى لا يبقى من ابن ادم الا عجب الذنب فمنه يركب الخلق يوم القيمة ومنها نخرجكم تارة اخرى اذا هم من الاجداد الى ربهم  
ينسلون. اذا كل هذه كانت محاورة في بلاط فرعون - 00:20:00

وموسى يأتيه بالآيات تلو الآيات والحجج تلو الحجج لكن العميد لا ينتفع بالذكرى قد ارى على عينيه غشاوة وفي اذنيه وقر وعلى  
قلبه اكنة. لهذا قال الله ولقد اریناه اياتنا كلها فكذب - 00:20:20

ابي وابي ثم نقل الموضوع نقلة اه سيدة واراد ان يستثير العامة ويهيج الدهماء فقال اجيتننا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى  
ارأيتكم كيف انصرف عن النقاش الموضوعي والحجاب الى اثارة الناس ضده وصار يعني يوغر صدورهم ضد موسى بان - 00:20:40  
ويريد اخراجهم من مواطنهم التي الفوها. وهذا هو اسلوب الطغاة في مواجهة الحق. لهذا قال اجيتننا لتخرجنا من ارضنا مع ان موسى  
عليه السلام ما قال شيئاً من ذلك انه يريد ان يخرجهم من ارضهم وانما طلب ان يخرجبني اسرائيل - 00:21:10

من ارض مصر لا اقل ولا اكثر. وكأن فرعون احس بضعفه امام هذه الآيات التي اتي بها موسى عليه السلام فلهذا قال بسحرك آآ اجيتننا  
لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى فلنأتيك بسر - 00:21:30

تحرم مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا انت مكاناً سوى. هكذا يساق الطاغي الى حتفه. انطق الله فرعون وجعل هذا  
الاقتراح يجري على لسانه. ويطلب موعداً للمقابلة والمنازلة - 00:21:50

فقال ان كنت قد استطلت علينا بهذه الآيات وسمها سحراً مع انها ليست بسحر بل هي حق وهي الحياة والعصا ان لدينا من السحر  
مثله. فنقاولك وننازلك بسحر مثله. فاجعل بيننا - 00:22:10

وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا انت مكاناً سوى. يعني ان اختيار مكاناً بارزاً مستوياً وموعداً حاسباً آآ بحيث يقف الناس على حقيقة  
الامر. انطقه الله بهذا وهذا مما صنعه الله تعالى لموسى وهارون - 00:22:30

ورأساً يهبل موسى عليه السلام الفرصة يجيب لهذا الدعوة دون تلاؤ. قال موعدكم يوم زينة وما اعقله وما اذakah. عليه الصلة  
والسلام. انظروا كيف اختار التوقيت المناسب. ما هو يوم الزينة؟ يوم العيد - 00:22:50

كان يوافق عاشوراء. كان يوافق عاشوراء كما جاء في بعض التفاسير. قال موعدكم يوم الزينة. وان يحشر الناس ضحي وان يحشر  
الناس ضحي. لماذا اختار الضحي؟ لأن الضحي هو بداية ارتفاع النهار. واما مامهم متسع - 00:23:10

الوقت ويجتمع بذلك سعة الزمان وكتلة الحضور لانه يوم زينة يتفرغ الناس عن اعمالهم يشهد هذه المنازل وهذا الموقف العظيم. قال  
موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحي نقف عند هذا الحد لننتظر في الجلسة القادمة هذه المنازل الموعودة وما الذي جرى بين

موسى عليه السلام - 00:23:30

وبيـن فـرعـون وـكـيف آـ صـار آـ اـمـرـه عـلـيـه السـلـام وـقـد اـعـد فـرعـون لـهـذـا الـأـمـر عـدـتـه وـصـلـى الله الله عـلـى نـبـيـنـا مـحـمـد وـعـلـى الله وـصـحـبـه اـجـمـعـين - 00:24:00